

قراءة في طرح اللساني المغربي "د. محمد الأوراجي" بخصوص "الوسائط اللغوية" وقوله بـ "أقول لسانيات

تشومسكي الكلية"

عبد القادر منداس¹

تاريخ النشر 2017/04/01	تاريخ القبول 2017/02/01	تاريخ الإرسال 2017/01/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

اشتهرت نظرية د. الأوراجي من انتقاد ما جاء به تشومسكي إذ قال بأقول اللسانيات الكلية ، وبالتالي تسعى هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على أهم أسس هذا الطرح وإشكالية النحو الكلي لدى تشومسكي وقوله بطبيعة التلقي لدى مكتسب اللغة ، وعمليات التوليد والتحويل التي طفق دارسو اللغة المحدثين يسقطونها على التركيب العربي وأنحائه.

وهو ما دفع "د . محمد الأوراجي" إلى أن دَعَا إلى طرح مختلف يناسب النظرية اللسانية العربية وتعليميتها، وهو ما اصطلح عليه بـ "الوسائط اللغوية" ضمن نظريته: "اللسانيات النسبية" ما يستلزم كسبية التلقي الذي ترجع جذوره إلى الفكر اللغوي العربي القديم، وتؤسس لنفسها وسائط لغوية ذات خصوصية مستقلة مرتبطة بنمطية اللغة العربية . فما مدى الإبداع العلمي في هذا الطرح وما الذي أضافه مقارنة بما استحدثه تشومسكي في نظريته اللسانية؟.

كلمات مفتاحية : محمد الأوراجي- الوسائط اللغوية - الكسبية اللغوية .- النسبية اللغوية

Abstract

This study describes the subject as universal grammar when Chomsky and learning has innate in language teaching ,And the application of linguists Araban in the modern era as transformational generative to teach Arabic in a direct way. Mohammed Alooragi called to differentiate teaching Arabic for English education developed by Chomsky special rules belong Linguistic relativity . Alooraga focused on receiving acquired for teaching Arabic based on the foundations of the Arab linguistic heritage.

- **ABSCRAT** : Mohammed Alooragi -between universal grammar of Chomsky and Linguistic relativity

¹ - عبد القادر منداس

توطئة :

بدأ في أوائل القرن العشرين بناء المواد النظرية التي يستعان بها في البحث اللغوي، انطلاقاً من مدرسة براغ على يد جاكبسون وتروبتسكوي واقتصر استخدام النظرية على "الفصّ النَّصّي" من اللغة -المستوى الفونولوجي- ثم طُفرت النظرية في اللسانيات الأمريكية فعمّت اللغة بجميع فصوصها، واكتمل بناؤها على يد شومسكي الذي يمثل الفلسفة الاصطلاحية في ميدان اللغة وعلومها. والاصطلاحيون نقل عنهم "بوبر"¹ إجماعهم على أن عقل الإنسان هو الذي يفرض قوانينه على الطبيعة، ومن ثمة فإنّ قوانين الطبيعة ماهي إلا نتاج لإبداعات الإنسان، كما إن علم الطبيعة النظري ما هو إلا بناء منطقي وليس صورة عن الطبيعة، وهذا البناء لا يتحدد -في التوجه الاصطلاحي- بخصائص العالم بل البناء المنطقي هو المحدّد لخصائص عالم اصطناعي من المفاهيم المحدّد ضمناً بواسطة قوانين الطبيعة التي اخترناها، ولا يصف العلم سوى عالم من هذا القبيل.²

وهنا يظهر تأثير شومسكي بهذا المبدأ في مثل قوله: جواهر الأشياء المدركة تشكل الموضوعات الأولى للعلم، وهذه الجواهر ليس لها وجود إلا في الذهن، من حيث هي أفكار نابغة من ذات الذهن نفسه، وبواسطة هذه الأفكار الطّبيعية يستطيع العقل أن يعرف الأشياء الخارجية ويتصوّرهما من حيث موضوعات ثانوية للمعرفة.³ وهنا يكون تشومسكي من ضمن الفلاسفة الاصطلاحيين حين أدرج المعطيات اللغوية ضمن الأشياء المكوّنة للعالم المجردة من ماهياتها إلا مما يضيفه العقل عليها، وهنا سيضطرّ عقدياً إلى الرّفض المطلق إلى كل النزعات التي تكوّن التيار "المراسي"، وإلى إقامة نظرية لسانية تستجيب ببنائها المنطقي لشروط النسق الرياضي. فيقوم بإسقاط بناء عقلي على معطيات اللغة، لأنّ النظريات الاصطلاحية عبارة عن شبكات لاصطياد العالم وجعله معقولاً بتفسيره والتحكم فيه.⁴

وهنا تبدو أحد السمات الرئيسية للنظرية اللسانية بشروط النزعة الاصطلاحية، وهي بناؤها على فرضية اعتباطية: التي من أسسها أن محتواها وضعي لا يحيل على واقع، ولا تقبل الإثبات بل تُسند لقيمة الصدق ويسلم لها اعتباطياً، ولا تقبل الفحص ولا النقض، وتلكم الأسس توفرت في فرضية العمل الاعتباطية المؤسسة للنظرية اللسانية الكلية لدى تشومسكي، والقائلة "إن اللغة ملكة طّبيعية مرقونة خِلقة في خلايا عضو من الدماغ البشري تنتقل من جيل إلى آخر بمورثات عضوية".⁵

يرى د. محمد الأوراني⁶ أن البرمِثُر في نظرية تشومسكي اللسانية عبارة عن عنصر متغير يُنَبّت بالتحديد المراسي لقيمتة. أما الوسيط فهو - من خلال النظرية النسبية- عبارة عن إمكانات متقابلة، تُجبر اللغات جميعاً على اختيار بعضها لإمكان وإهمال مقابله المنتقى من بعضها الآخر، فتحصل اللغات البشرية بدءاً، في أنماط بنيوية متغايرة. ومن هنا يظهر التباين بين مفهومين اثنين: البرمِثُر والوسيط اللغوي، يلتقيان من ناحية أنهما مسؤولين عن فشوّ ظاهرة الاختلاف بين اللغات البشرية، ويتباينان بالخصائص الفارقة لكل منهما.⁷

كتب د. محمد الأوراني المفكر اللساني المغربي، عدداً لا بأس به من المراجع العلمية ليثبت به بديلاً عن نظرية تشومسكي، منها كتاب: الوسائط اللغوية في جزئيه: 1- أقول اللسانيات الكلية، 2- اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، وكتاب: نظرية اللسانيات النسبية-دواعي النشأة، الذي يبسط فيه نظريته اللسانية ويعزز قوله

بكسبية تلقي اللغة وتعلّمها لدى الإنسان، وهو طرح لساني جدير بالدراسة في مقابل نظرية تشومسكي عن اللسانيات الكلية، وقوله بطبيعة الاكتساب اللغوي وما تبعه من فرضيات لسانية.

أولا - لسانيات شومسكي لسانيات كلية ومعرفة نظرية :

لقد كانت الأفكار التي طرحها تشومسكي في نظريته ثورةً أعلن من خلالها موقفه مما توصلت إليه الدراسات والنظريات اللغوية التي سبقتها، فانتقد مَنْ سبقه، من أجل " التغلّب على بعض العجز والقصور لدى معاصريه وذلك من خلال وضع تحليلاتهم اللغوية في إطار أكثر رسوخا وإقناعا. " ⁸

والجدير بالذكر أن شومسكي لم يرفض أفكار من سبقه جملة وتفصيلا بل الحقيقة التي تتجلى للباحث بعد التدقيق والنظر في أعماله يجد أنها في الحقيقة لا تعدو أن تكون " متممة لا أكثر لأعمال الوصفيين في اللغة. " ⁹ غير أنه اعتقد أنّ ما قامت به البنيوية الوصفية من التركيز على " سطحية اللغة " بوصف الظاهر دون الوقوف على تفسيره والوقوف عند حدود التصنيف والوصف، إنما هو وقوف عند البدايات والمقدمات. ¹⁰

وهذا ما دفع تشومسكي إلى التأكيد على المزاجية بين الفكر اللغوي القديم التقليدي والحديث البنيوي الوصفي، لغرض الوصول إلى فهم أمثل للغة، وهذا ما جعل من نظريته رمزا للحدث اللغوي - كما عبّر به بعض الباحثين ¹¹ - لأنها قائمة على أصليين من البحث اللغوي هما : المنهج البنيوي والنحو التقليدي.

ومن هنا صار ضروريا بالنسبة إليه النظر إليهما نظرة تلاؤمية تجمع بين الاثنين على أساس أنهما نتاج لما تمخّض عن العقل الإنساني، فسعى إلى " ربط القواعد المعاصرة بالقواعد التقليدية الإغريقية الرومانية للقرون الماضية، أي ربط بين الدقة والصرامة العلمية السلوكية وبين النظرية التقليدية. " ¹²

وعليه فإن التفسير هو الإجراء العلمي الذي طوّره شومسكي، وهو الأمر الذي أدى به إلى الاعتناء بتفسير عمل العقل وتوجيه نظريته إلى الكشف عن القدرات العقلية التي يتمتع بها الإنسان، وسعيه إلى رفض السلوكية بالصورة التي نادى بها " بلومفيلد " الذي نظر إلى الكلام على أنه استجابة لمثير طبيعي أو صناعي تفرضه البيئة المحيطة بالكائن الحي، وتجلّى كذلك رفضه هذا في دحض الأسس التي قامت عليها آراء " سكرز " السلوكية، والتي أدت إلى عدم التفريق بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني تفريقا دقيقا، وعدّت اللغة عادة اجتماعية يمكن اكتسابها عن طريق المحاولة والخطأ. ¹³

وهذا ما دفع تشومسكي إلى الاهتمام بدور العقل والإعلاء من شأن القدرات العقلية التي يتمتع بها الإنسان متبنياً رأي ديكارت " أنا أفكر فأنا كائن " أو موجود. ¹⁴ هكذا كانت نظرية التوليد والتحويل سائرة في خط تطوّري مستمر دون التوقف عند نقطة واحدة، فقد بلغ بشومسكي طموحه في نظريته إلى أن أراد أن يجعل منها أنموذجا عالميا، أو ما أسماه ب : النحو الكلّي أو العالمي. ¹⁵

ثانيا - طبيعة الاكتساب في كليات شومسكي وأثرها على التطبيق النحوي:

تشعبت آراء الطبيعيين حول ماهية عدّة الاكتساب، وتأسست فرضيتهم على جعل تلك العدة ذخيرةً من المفاهيم النسقية المروقونة أصلا في نسيج الخلايا الذهنية والمتوارثة، وعلى العموم فقد كان شومسكي وأتباعه من اللسانيين يتصوّرون النسق المفهومي الموروث نسقا ذا طبيعة لسانية.

ويُعدُّ تشومسكي واحداً من الطّبعيّين الذين انطلقوا في بحوثهم اللسانية من فرضية طَبِيعِيَّة، مفادها أن الذهن البشري نُسِجَتْ في خلاياه علوم أولية غريزية، تنتظم من خلالها معطيات الواقع وتُؤَلِّ التَّجَرِبَة ويتأثّر الاكتساب، وهو مخزون من العلوم المطبوعة خِلَقَةً في الخلايا العقلية يخضع لقانون الوراثة، منتقلا من دماغ السلف إلى دماغ الخلف بمورثات عضوية.¹⁶

كما تتشكل فرضية العمل الطَبِيعِيَّة عند تشومسكي في نظرية اللسانيات الكلية من ثنائية القدرة والإنجاز:¹⁷ فالقدرة تطلق على خصائص الطور الأول الذي يمثل في تصوّر تشومسكي وغيره من الطبعيين الهبة المشتركة بين جميع الأطفال ساعة الولادة، وهي قدرة تُسمّى المَلَكَة اللغوية. والإنجاز اللغوي يتناول خصائص الطور النهائي حيث استقرّ نمو القدرة اللغوية واكتمل نضجها.

وهذا ما انبنى عليه تنظيره للنحو الكلي ليستقيم له إمكان الانطلاق من دراسة خصائص الطور النهائي كما هو محقّق في إحدى اللغات كالإنجليزية مثلا.

ومن خلال هذا الطرح تبرز بعض الإشكالات الوجيهة إزاء ما أسسه شومسكي من رؤى خالها تنطبق على اللغات دون تحديد أو تفريق وكل ذلك من منظور اللغة الإنجليزية، إذ يقول محمد الأوراني "تعدُّ التمييز داخل القدرة اللغوية بين المعارف الطَبِيعِيَّة والمعارف الكسبيَّة، انعكس بشكل واضح على طريقة الاستدلال التي انتهجها شومسكي لإثبات طَبِيعِيَّة المعارف المنسوجة خِلَقَةً في خلايا الذهن البشري، وليس من المبالغة القول إن شومسكي قد قدّ كل وسائل الاستدلال لإثبات طَبِيعِيَّة المعارف اللسانية، ولجأ إلى الخطابة لإقناع الأتباع بأن ما يستنبطه من دراسته للغة الإنجليزية يجب عدّه معارف لسانية مطبوعة في ذهن كل واحد، وهي أيضا مبادئ النحو الكلي".¹⁸

ثم إن ما تجدر الإشارة إليه هو توقّف فريق الطّبعيّين - على اختلاف حقولهم- دون تقديم وصفٍ أو فكرة واضحة عن النسق المفهومي الذي يطبعونه في خلايا الذهن البشري أويسندونه إلى عدّة الاكتساب. وهذا ما دفع "جيرولد كاتس" من خلال مقارنة بين فرضية هذا الفريق من الطبعيين وفرضية سواهم من الامبريقيين، إلى القول بالأحد من الفريقين استطاع أن يقدم وصفا علميا للطبيعة التي يسندها إلى عدّة الاكتساب، وإن تميّز الامبريقيون بوصفٍ مضبوط لطريقة الاكتساب فقد فشل في ذلك الطبعيون.¹⁹

وبالتالي فإن ما خلص إليه د. محمد الأوراني في نقده للسانيات الكلية، هو وجوب استبعاد فرضية العمل الطَبِيعِيَّة، لفشل أصحابها في وصف عدّة الاكتساب أولا ووصف طرائقه ثانيا، وهذا يستلزم بالضرورة المنطقية إخراج نظرية اللسانيات الكلية المبنية على هذه الفرضية من أي أساس يُتَّخَذُ منطلقا لوضع المناهج اللغوية التعليمية. وهذا يفضي إلى أقول نجم اللسانيات الكلية من الناحية المراسية التعليمية خصوصا، فمواطن الخلل فيها شرعت تبرز للعيان والباحثين اللغويين، بدءا من الخلل في فرضيّتها الأولية الزاهية إلى أن المَلَكَة اللغوية هي نسيج خلايا ذهنيّة، ومبادئ لسانية غريزية منسوجة في بنية خلوية تشكل عضوا ذهنيّا في دماغ البشر.

وهذا مؤداه أيضا أن محتوى المَلَكَة اللغوية لا يُتعلّم ولا يُكتسب وإنما يورث بمورثات مخصصة، ويشكّل هذا الإرث البيولوجي العدّة التي تسمح للفرد بتنظيم المعطيات اللغوية التي يتلقاها من محيطه، وببناء قدرته النحوية

على إنتاج ما لا يُحصَى من الجمل السليمة. وهذا الكلام هو ما دفع منتقديه إلى الحكم عليه بأنه أقرب إلى الخطاب البياني الذي لا يُصاغ في وصفٍ لتلك الملكة اللغوية بالمعنى العلمي للوصف.²⁰

ومن الإشكالات المطروحة بين لسانيات تشومسكي والنحو العربي، هو ما يبدو لنا من الطريقة التي انتهجها تشومسكي صاحب نظرية النحو الكلي، وذلك حين " يبحث عن تلك المبادئ اللسانية المطبوعة خَلَقَةً في الدماغ البشري، إذ رآها في اللغة الإنجليزية التي تناولها بالدرس والتحليل، فعمّمها على كل اللغات، لأن فرضية العمل الطَّبَعِيَّة تُسَوِّغُ مبدأ التعميم بمعناه الخاص في تصوّر صاحبه كما يظهر من خلال عبارته التالية: ما يصحُّ في الإنجليزية يحتمل أن يكون كلياً يستغرق جميع اللغات البشرية. ثم قرّر شومسكي أن يطبع في دماغ كلِّ إنسان ما وجد في الإنجليزية وسماه مبدأً أو قاعدةً أو سمةً ولم يكن من الدليل على الانطباع الخُلقي لتلك المبادئ سوى التصريح بذلك." ²¹

وأمر آخر متّبِع في اللسانيات الكلية الشومسكية وهو ما يحدث فيها من تغليب المتمسّكين بمنهج الاستنباط البرهاني لليقين الرياضي وإن لم يصادف واقعاً في لغةٍ على التفسير العلمي وإن طابق لغاتٍ. وهو يكشف عن ضعف درجة التطابق بين تنبؤات النحو الكلي وواقع اللغات، وكذا تصاعدُ القوادح أو الأمثلة المضادة أدى إلى تعميق أزمة اللسانيات الكلية، وهو ما ألجأ تشومسكي إلى اعتماد تقنية الفلسفة الاصطلاحية للدفاع عن النظرية المتأزّمة وليست لتطوير المعرفة البشرية.²²

ومما وقع فيه صاحب اللسانيات الكلية بعد حكمه بطبيعة اكتساب اللغة وكذا نظرية التوليد والتحويل، وهو مما يؤاخذ عليه كذلك هو خروجه عن الهدف من الدراسة العلمية للغة الذي سطره سوسور قبله في ثورته اللغوية الحديثة وهو تحقيق هدفٍ داخل اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. فقد صرح شومسكي بقوله: " من المعقول أن نتصدى لدراسة اللغة كما يُدرّس أيُّ عضوٍ في الجسم." ²³ وكأنه بهذا يدمج العلوم الطبيعية بعلم اللغة، فهي في تصوّره قسمٌ من علم النفس البشري الذي يُعنى بطبيعة الملكة اللغوية وبأصل هذا العضو الذهني، وهذا ما يجعل من بحثه العلمي أبعد عن دراسة اللغة من أجل ذاتها، بل هو في حقيقته كشفٌ لمبادئ كلية تنبثق من الخصائص الذهنية المميزة لنوع الإنسان وهذا في جوهره ما هو إلا إعادةٌ للغة إلى مكانها التقليدي.²⁴

ثالثاً - الفرضية الكسبية في اللسانيات النسبية وأثرها في اكتساب اللغة:

اللسانيات النسبية نظرية لغوية تؤسّسها فرضية مِراسِيّة - أي مرتبطة بالواقع وغير اعتباطية - تفيد أن اللغات البشرية "ملكات صناعيّة كسبيّة"،²⁵ وبموجب هذه الفرضية ينطلق الباحث اللساني بدءاً من اللغات نحو النظرية، مما يجعل جميع توقّعات اللسانيات النسبية توقّعاتٍ لسانية نَمَطِيّة أو تتوقّع لكل الأنماط اللغوية القواعد النحوية المناسبة.

وقديما في "كتاب النفس" لابن سينا²⁶ من خلال مقارنته بين لغة الحيوان ولغة الإنسان، تبين له أن الضرورة الخلقية تحتم أن تكون الأولى طبيعية لأن الحاجات البيولوجية للحيوان متناهية، فمُكِّن كل صنفٍ من هذا النوع على التواصل بلغة محدودة على قدر الافتقار، ولما كانت أغراض الإنسان غير محدودة، لزمته لغةٌ على قدر الحاجة، بإمكانات غير متناهية، وغير المتناهي متجدّد، والمتجدّد وضعيٌّ، بل إن الضرورة الخلقية للإنسان هي الباعثة له على اختراع لغاته.

بناءً عليه فإنّ القول بالكسبية هو ما تنبني عليه اللسانيات النسبية، كما تركز عليه أيضا اللسانيات النفسية في محورها: ²⁷ محور طبيعة عُدّة الاكتساب ومكوناتها. ومحور كيفية اشتغال تلك العُدّة على الشكل الذي تعكسه منهجية البحث وطريقة اكتساب العلم بالموضوعات الخارجية.

وما تنطلق منه الفرضية الكسبية هو الشروع من عُدّة اكتساب وهي في حقيقتها "قوى ذهنيّة بنيةً خلاياها خاليةً من العلوم الغريزية الأولية، لكنها مهيأةٌ بيولوجيا لأن تتشكّل ببنية ما يحلّ فيها من العالم الخارجي المنتظم على وجه كليّ فتحصل لها القدرة على الاستنباط واكتساب العلوم." ²⁸

وهذا المعنى من الكسب العلمي والتلقي الخارجي، أشار إليه ابن سينا مثلاً في كتابه البرهان، عند تعليقه على مبدأ تأصيلي بقوله: "كل صنف من العلم أو الظن المكتسب إذا اكتسابه ذهنياً فهو بعلم أو بظنّ سابق سواء كان بتعلّم من الغير أو باستنباط من النفس." ²⁹ فهي فرضية "زوّدت نظرية المعرفة بقواعد تعلّمية كليّة (...) كما وفّرت لعلوم التربية طريقة القياس بفرعيه قياس الشبه وقياس العلة، وأخيراً أمدّت نظرية اللسانيات النسبية بتصور واضح للمفهوم من (الملكة اللغوية)" ³⁰.

أما المَلَكَة اللغوية فهي لدى الطبيعيين أمثال شومسكي، من جنس الطبيعيات الإجبارية المتنقلة عبر الأجيال بمورثات عضويّة، وهو معنى يقترب من حال اللغات الحيوانية، ولكن المَلَكَة أوضح معنى في اللسانيات النسبية فهي من جنس الوضعيات بالاختيار، المكتسبة بقواعد الاستقراء الاستدلالية وقواعد الاستنباط البرهانية، وهذا المعنى عن طبيعة المَلَكَة اللغوية الذي مفاده أن اللغات البشرية ملكات صناعيّة كسبيّة هو مما اتّفق عليه العرب قديماً، أمثال ابن خلدون والفارابي. ³¹ وما كان هذا شأنه "لزمه بالضرورة التنوّع المتناهي، وما كان متنوعاً لا مندوحة من السماع أو التجربة لتحصيل المعرفة بأصوله، فاتخاذ هذه الأصول مقدّمات في طريقة برهانية يقوى بها الذهن على استنباط علوم كسبية." ³²

رابعاً- الثغرة الشومسكية: وصفين مختلفين للغات من نمطين :

إذاً فوجه قصور اللسانيات الكلية هو فشل تطبيقاتها على اللغة العربية، ونحوها كاليابانية مثلاً من اللغات التوليفية أو اللغات غير الشجرية كما سمّاها شومسكي، ³³ وهنا يتبدّى التعارض بين وصفين مختلفين للغات من نمطين، ومن نماذج ذلك: وصف سيبويه للعربية ووصف شومسكي للإنجليزية. وهذا المشروع الخاص بالنحو الكلي قد أنكره باحثون غربيون وتفطّنوا لثغرات كامنة فيه، أمثال "مارتان جوز" الذي قدّم ما أطلق عليه "وجهة النظر البوهاسية" التي ترى أن اللغات قد يختلف بعضها عن بعض دون أي حدود وبطرق لا يمكن التنبؤ بها، مردّداً ما أشار إليه "وايت ويتني وليام" من التنوّع اللانهائي للكلام الإنساني، وهو ما ذهب إليه سابير حين اعتبر اللغة نشاطاً إنسانياً يتنوّع بلا حدود يمكن تعيينها. ³⁴

وسنورد هاهنا مثالين عن عدم التطابق بين قواعد شومسكي المستندة إلى الإنجليزية وبين النحو العربي ومعايير

أ - المثال الأول : من الأمثلة على ذلك في النحو العربي، قضية الترتيب الأصلي للتركيب، فقد ثبت لدى اللسانيين الغربيين وكذا عددٍ من النحاة العرب المحدثين أن : لكلّ لغةٍ بشريةٍ رتبةً أصليّةً؛ ومنه أصل شومسكي للعربية الترتيب الآتي (فع - فا - مف)، وتبعه بعض اللغويين العرب من مثل يوسف عون وعبد القادر

الفاسي³⁵. غير أننا نُلقي بعد التأمل في اللسانيات العربية القديمة أن الترتيب (فا - فع - مف) أصل، والترتيب (فع - فا - مف) أصل أيضاً، وكذا الترتيب (فع - مف - فا) أصل هو الآخر.³⁶

والتراتب المَحتملة أصول، عملاً بمبدأ الإعراب المعبر عنه بقول ابن يعيش: "والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم، (...) ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب، ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب."³⁷

ومعنى الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم هو أن تختار اللغة العربية ل: وسيط العلامة المحمولة، وهكذا هي تضمّن للفص التركيبي الخاص بها بنيةً قاعدية ذات رتبة حرة، منها تشتق مباشرة كلُّ التراتيب المَحتملة، وفي المقابل هناك لغات اختارت: وسيط الرتبة المحفوظة، التي تؤصل ترتيباً بعينه ثم تُفَرِّغ عنه ترتيباً آخر تسمح به، فهي ذات بنية قاعدية برتبة قارة هي الأصل، وما عداها المسموح به فمُفَرِّغ عنها بقاعدة تحويلية خاصة بها.³⁸ وهكذا يفترض أن يتمكن الباحث اللساني في العربية من إقامة نظرية لسانية نسبية تتوقع النموذج النحوي المناسب لنمط معين من اللغات البشرية، وهذا أمر لا تمدُّنا به اللسانيات الغربية.

ب- المثال الثاني: يكشف عن حجم التعارض بين قواعد النحو التحويلي التوليدي وقواعد النحو السيويبي، ويبرز نوعاً ما أنَّ نحو تشومسكي الكلي أخفق في وصف العربية بدقة ومطابقة، والمقصود هنا مبدأ أحادية الوظيفة، وهو يُعَدُّ الكلمة داخل الجملة موضوعاً لا يقبل غير دور محوري واحد، وهذا ما أصّله تشومسكي في كتابه العمل والربط.³⁹

بالنظر إلى التركيبين الآتين: أ - نصر عادلٌ خالداً. ب - ناصر عادلٌ خالداً.

بتطبيق هذا المبدأ الأحادي على اللغة العربية وجب إسناد وظيفة الفاعل بالمعنى المنطقي، أو دور المنفّذ باصطلاحات ترجمات بعض العرب عن لسانين غربيين، إسنادها إلى الموضوع "عادل" ووظيفة المفعول بالمعنى المنطقي أو دور المتقبّل، إلى الموضوع "خالداً" في كلتا الجملتين السابقتين.

أما في العربية فإن النحاة يؤكّدون أن لكلا الموضوعين (عادل) - (خالداً) في الجملة "ب" وظيفتان، بدليل الصيغة الصرفية للفعل "ناصر"، يقول سيبويه: "اعلم أنك إذا قلت: فأعلتُهُ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه."⁴⁰ فصيغة " (فَاعَل) لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظاً والاشتراك فيهما معنى، وصيغة (تَفَاعَل) للاشتراك في الفاعلية وفيها في المفعولية معنى."⁴¹ وهذا معناه أنه في نحو العربية كلا الموضوعين في الجملة "مزدوج الوظيفة"، إذ يتلقّى الموضوع (عادل) وظيفة الفاعل الصريح المناسبة لحالة الرفع مع وظيفة المفعول الضمني، كما يستلم الموضوع (خالداً) وظيفة المفعول الصريح المناسبة لحالة النصب ومعها وظيفة الفاعل الضمني.⁴²

• وهذا يجعلنا نلاحظ بوضوح بُعد التنظير الشومسكي عن مطابقة التراكيب العربية بتحويلات اللسانية، فهو إن كان مؤهلاً لأن يتنبأ بمبادئ نحو اللغات التركيبية كالإنجليزية والفرنسية وما شابهها من خلال النسق المنطقي لنظريته اللسانية، إلا أنه "قاصر عن توقُّع الخصائص البنيوية لنمط اللغات التوليفية كالعربية واليابانية مثلاً وغيرهما، ويلزم بالضرورة عن ذلك إقصاء نتائج تطبيقاتها على العربية من أيّ أساس يتحدّ منطلقاً لإقامة مناهج تربوية لتعليم اللغة العربية لأصحابها أو لغيرهم الناطقين أصلاً بغيرها."⁴³

هذا ما خلاص إليه د. محمد الأوراعي، في طرحه عن اللسانيات النسبية تأصيلاً وبديلاً ينبئ عن أقول نجم النظرية الكلية بالنسبة لهذا اللساني المغربي، وقد وضع لنظريته معجماً مصطلحياً متنوعاً وثيراً يستحق اعتناء في بحث مستقل، إذ هو معجم يكشف عن مدى الإبداع المغربي الذي استلهمه هذا المفكر بعد نقده العلمي لنظرية تشومسكي، وانطلاقه من أسس لغوية عربية أصيلة لدعم نظريته الفذة.

الهوامش :

¹ انظر نظرية اللسانيات النسبية – دواعي النشأة، محمد الأوراعي، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص 179. وانظر:

بوبر popper، منطق المعرفة العلمية.

² نظرية اللسانيات النسبية، ص 177-178.

³ انظر: شومسكي، اللسانيات الديكارتية.

⁴ انظر بوبر popper، منطق المعرفة العلمية..

⁵ انظر: نظرية اللسانيات النسبية، ص 179. والوسائط اللغوية، أقول اللسانيات الكلية، الأوراعي.

⁶ أستاذ في التعليم العالي محاضر بجامعة محمد الخامس بالرباط، متخصص في اللسانيات منحدر من مدينة الناظور، يعد أحد أعلام ومفكري المغرب الشقيق. له عدة مؤلفات من بينها: الوسائط اللغوية "1- اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية" "2- أقوال اللسانيات الكلية"، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، لسان حضارة القرآن، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم. سبق له أن شارك في مجموعة من الملتقيات الدولية والعربية بالإضافة إلى الملتقيات الوطنية. ينظر: "الملكة العقلية ودورها في اكتساب اللغة - محمد الأوراعي"، سعيدة قوراج، رسالة ماستر، جامعة قاصدي مرباح، 2016-2017. ص 6.

⁷ الوسائط اللغوية عند الأوراعي، ص 129. الفصل الثالث.

⁸ تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، هدى صلاح رشيد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015م، ص 351. وينظر: فهم اللغة- نحو علم لغة لما بعد مرحلة شومسكي، تيرينس موور وكريستن كارلنغ، ترجمة حامد حسين الحجاج، دار الشؤون الثقافية- بغداد، 1998م، ص 92.

⁹ المرجع نفسه، ص 59.

¹⁰ انظر محاضرات في اللسانيات، فوزي حسن الشايب، مطبعة البهجة- عمان، ط1، 1999م، ص 373.

¹¹ مباحث في علم اللغة واللسانيات، رشيد عبد الرحمن عبيدي، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2010م، ص 296.

¹² محاضرات في اللسانيات، ص 371.

¹³ انظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، ص 353، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص 92.

¹⁴ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1986م، ص 43.

¹⁵ انظر: النحو العربي والدرس الحديث- بحث في المنهج، عبده الراجعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988م، ص 113.

¹⁶ نظرية اللسانيات النسبية – دواعي النشأة، محمد الأوراعي، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص 147.

- ¹⁷ انظر المرجع نفسه .
- ¹⁸ المرجع نفسه ، ص 148.
- ¹⁹ يراجع : Jerrold katz payot (1966) ; la philosophie du langage , paris
- ²⁰ اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 260-261.
- ²¹ المرجع نفسه ص 261.
- ²² انظر المرجع نفسه : ص 261 .
- ²³ ينظر: اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 262. و يراجع : N.Chomsky , (1975), Réflexions sur le langage , Maspero, paris
- ²⁴ اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 262.
- ²⁵ يراجع في ذلك: نظرية اللسانيات النسبية – دواعي النشأة، محمد الأوراعي .
- ²⁶ انظر: كتاب النفس المقالة الخامسة ، ابن سينا ، الهيئة المصرية ، القاهرة، 1395هـ، ص 181.
- ²⁷ يراجع في ذلك: اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم ، محمد الأوراعي . دار الكلام ، الرابط، 1990م .
- ²⁸ اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 268.
- ²⁹ ابن سينا ، البرهان ، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1966م، ص 14 .
- ³⁰ اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 268 – 269 .
- ³¹ انظر المقدمة، فصل "في أن اللغة ملكة صناعية"، عبد الرحمن ابن خلدون، بولاق القاهرة، 1274هـ، ص 285، وإحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي ، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1968م، ص 170.
- ³² اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 269.
- ³³ المرجع نفسه ، ص 262.
- ³⁴ ينظر: النحو التوليدي، رشيدة العلوي كمال، دار الأمان، الرباط، ط1 ، 2014م، ص 126.
- ³⁵ اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، الدار البيضاء، 1985م، ج1، ص 73 .
- ³⁶ انظر: شرح مفصل الزمخشري لابن يعيش، مكتبة المتنبي ، القاهرة، ج1، ص73، ص76، والخصائص، أبو الفتح ابن جني ، دار الكتب ، القاهرة، 1371هـ، ج1، ص293-300.
- ³⁷ شرح المفصل، ابن يعيش، ج1 ص73 .
- ³⁸ انظر: اللسانيات التعليمية وتعليم العربية، ص 263-264.
- ³⁹ يراجع : N.Chomsky (1981) Théorie du gouvernement et de liage, paris. P72.
- ⁴⁰ الكتاب ، سيبويه، بولاق، القاهرة ، بدون تاريخ ، ج2 ص 278.
- ⁴¹ ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي نجم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، ج1، ص 101.
- ⁴² انظر: اللسانيات النسبية وتعليم العربية، ص 265.
- ⁴³ المرجع نفسه ، ص 267.